

2020

الأدب العربي الحديث والمعاصر: دراسة في التاريخ والمصطلح

كمال غنيم

الجامعة الإسلامية, kghonem@iugaza.edu.ps

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b



Part of the [Arts and Humanities Commons](#)

Recommended Citation

Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (مجلة) "غنيم, كمال (2020) "الأدب العربي الحديث والمعاصر: دراسة في التاريخ والمصطلح
Vol. 12 : Iss. 1 , Article 2. :مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانية)
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b/vol12/iss1/2

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانية) by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.



الأدب العربي الحديث والمعاصر دراسة في التاريخ والمصطلح

أ.د. كمال أحمد غنيم- أستاذ الأدب والنقد- الجامعة الإسلامية – غزة

الملخص:

يناقش البحث آليات تقسيم عصور الأدب العربي التي اتفق المؤرخون والأدباء على اثنتين منها هما : (الجاهلي) و(الإسلامي)، بحدودهما الزمانية من مائة وخمسين عاما قبل البعثة وصولا إلى (132هـ). ويتفق البحث مع رؤية تقسيم العصر الثالث (العصر العباسي) إلى عصرين ينتهيان في (334هـ) بسقوط بغداد في أيدي البويهيين. و تحديد بداية العصر الرابع (عصر الدول والإمارات "الأول") من 334هـ. ولكنه البحث يحدد نهاية عصر الدول والإمارات الأول ببداية (العصر الخامس: العهد العثماني) سنة 923هـ (1517م)، حتى نهاية الخلافة العثمانية في 1917م. ويشترك اسم (عصر الدول والإمارات الثاني) الذي يبدأ من (1917م). حتى الآن، ويستعرض الأحداث التاريخية التي تشظى فيها الحكم في البلاد العربية

الكلمات المفتاحية:

الأدب الحديث – الأدب المعاصر – عصر الدول والإمارات الثاني – تقسيم العصور

Abstract:

The research discusses the mechanisms of dividing the ages of Arabic literature, which historians and writers agreed on two of them: Pre - Islamic era and Islamic era, with their temporal limits of one hundred and fifty years before the mission up to 132 AH. And the research is consistent with the vision of the division of the third era (Abbasid era) to two eras ending in 334 e Baghdad fall in the hands of Puyhion, and the beginning of the fourth era (The first era of states and emirates ") of 334 A.H, but the research defines the end of the era of the first states and emirates beginning with (the fifth era: the Ottoman era) in the year 923 AH (1517 AD), until the end of the Ottoman Caliphate in 1917. And derives the name (era of states and the UAE II), which begins in 1917, and reviews the historical events after the disintegration of the rule in the Arab countries, into small countries, kingdoms and emirates.

Key words:

Modern Literature - Contemporary Literature - The Age of States and the Second Emirates - partition of the Ages

الثاني قياساً على ما سُمّي عصر الدول والإمارات الأول، ولا مشاحة في المصطلح؛ لأن العصر العباسي انقسم لعصرين. ولعلنا نحتاج من أجل بلورة تلك الفكرة إلى استعراض تاريخي لمجريات التحولات الكبيرة من العصور الأولى مروراً بالعصر العثماني إلى يومنا.

تقسيمات تاريخ الأدب العربي، وعصوره:

يستعرض شوقي ضيف في مطلع موسوعته التاريخية التي درس فيها الأدب العربي عبر العصور التقسيم الدارج الذي ينسجم مع تطور التاريخ السياسي، مع التأكيد على أنّ الظواهر الأدبية تتداخل قليلاً أو كثيراً في العصور التاريخية، ويرى أنّ أكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم عنه على خمسة عصور أساسية، هي:

- 1-العصر الجاهلي: حدده المؤرخون بمائة وخمسين سنة قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- 2-العصر الإسلامي: يبدأ مع ظهور الإسلام، وينتهي بانتهاء الدولة الأموية سنة (132هـ).
- 3-العصر العباسي: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة 132هـ وينتهي بسيطرة التتار على بغداد سنة (656هـ - 1258م) ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر قسمين: العصر العباسي الأول ويمتد نحو مائة عام، والعصر العباسي الثاني، ويستمر حتى نهاية العصر. ومن المؤرخين من يقسمه ثلاثة أقسام، يبقى فيها القسم الأول بالاسم بنفسه، أما العصر العباسي الثاني فيقف به عند سنة (334هـ/ 945م) وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتد العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد، وقد يقسم بعض المؤرخين هذا العصر العباسي الثالث قسمين: فيقف بالقسم الأول عند دخول السلاجقة بغداد سنة (447هـ/ 1055م) ويستقل القسم الثاني أو العصر العباسي الرابع ببقية العصر. حيث يبدأ العصر العباسي الرابع باستيلاء التتار على بغداد ويستمر إلى نزول الحملة الفرنسية سنة (1213هـ / 1798م).
- 4-العصر الحديث: ويمتد إلى أيامنا الحاضرة⁽³⁾.

ويحافظ شوقي ضيف على العصرين الجاهلي والإسلامي، ويجري التعديلات على باقي الأقسام، حيث يرى أنّ العصر العباسي ينقسم لعصرين: الأول مائة عام من (132هـ) نهاية العصر الأموي حتى عام (232هـ) بانتهاء خلافة الواثق، والثاني من (232هـ) حتى (334هـ) بسقوط بغداد في أيدي البويهيين، ومن ذلك التاريخ -334هـ- إلى نهاية العصور الوسطى يبدأ عصر رابع يمتد إلى العصر الحديث، هو عصر الدول والإمارات، ذلك أنّ أوصال الدولة العباسية قد تفككت، وظهرت إمارات وخلافات، ودول كثيرة كإمارات الفرس في إيران وما وراءها، وسيف الدولة الحمداني في حلب، والفاطميّين ثم الأيوبيّين والمماليك والعثمانيين في مصر، والأمويّين ثم ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ومن خلفهم في الأندلس. ويرى ضيف وجوب دراسة العصر الرابع في كل إقليم على حدة. ويستكمل ضيف التبرير للاسم من خلال التأكيد على أن التقسيم الذي يطرحه

(³) انظر: ضيف؛ شوقي، العصر الجاهلي، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط22، دت، 14.

وانظر: الصلابي؛ علي محمد، عصر الدوائين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، دار البيارق، ص5

وانظر: زيدان؛ جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، القاهرة، دار الهلال، ص 156 و 224
وانظر: البستاني؛ بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية: حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014 .

أكثر دقة بقوله إنَّ "بغداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجري تحتل المكانة الأولى في الحركات الأدبية، بل لقد نافستها في الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها في النهوض بالشعر والنثر تفوقاً واضحاً"⁽⁴⁾.

ويؤكد ضيف على التسمية في سلسلته التاريخية بقوله: "عصر الدول والإمارات الممتد من سنة 334 للهجرة إلى العصر الحديث"⁽⁵⁾، وقوله: "وكان المؤرخون للأدب العربي يدخلون منه نحو ثلاثة قرون في العصر العباسي الثاني منتهين به حتى سنة 656 حين أغار قطعان التتار على بغداد وقوّضوا ما كان فيها من مدنية وحضارة"⁽⁶⁾.

ومن الواضح أن شوقي ضيف -رحمه الله- ظن أن حكم العثمانيين ظل ضمن مصر وحدها، وليس في عموم البلاد العربية، ولعل ذلك نابع من حالة الدولة العثمانية التي بقيت دولة كبرى في عصر الدول والإمارات الأولى إلى أن توجهت لحماية البلاد العربية من الهجوم الصفوي، وأصبحت حاكمة لها من الشرق إلى الغرب.

العصر العثماني:

بدأ حكم العثمانيين في الوطن العربي مطلع القرن العاشر الهجري، عندما انتصر الجيش العثماني على الصفويين في وادي جالديران في العام (920هـ)، وعلى المماليك في مرج دابق قرب حلب عام 922هـ، حيث توجهوا بعدها إلى مصر وبسطوا نفوذهم عليها عام (923هـ) (1517م)، وأحكموا سيطرتهم على باقي البلدان العربية تدريجياً ما عدا مراكش بالمغرب العربي⁽⁷⁾. ذلك أنه لما استقر السلطان بالقاهرة وأثناء إقامته فيها تقبل لواء شريف مكة عند استقباله لأبي نبي من ابن الشريف بركات... وتقبل أيضاً لواء القبائل البدوية، وولاء القائد إسكندر الجركسي قائد الجيش المملوكي باليمن⁽⁸⁾.

وقد كان العثمانيون قبل دخولهم للعالم العربي قد حققوا إنجازات كبيرة في بلادهم وفي أوروبا، وقد كان الحدث المهم لهم يعد مرحلة جديدة من تاريخهم هو فتحهم لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (1451-1481) في 29 أيار 1453، واتخاذها عاصمة لهم، وأطلقوا عليها اسم (إسلامبول) أو "إستانبول" أي مدينة الإسلام.. وتمكن السلطان سليمان أن

(4) انظر: ضيف؛ شوقي، العصر الجاهلي، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط22، دت، 14-15.

(5) ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية - العراق - إيران، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج5، القاهرة، دار المعارف، ط2، دت، 5. (وانظر: ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية الشام، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج6، القاهرة، دار المعارف، ط2، دت، 5). (وانظر: ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية مصر، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج7، القاهرة، دار المعارف، ط2، دت، 5).

(6) ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الشام، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج6، القاهرة، دار المعارف، ط2، دت، 5. (وانظر: ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: مصر، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج7، القاهرة، دار المعارف، ط2، دت، 5).

(7) انظر: أبو علي؛ نبيل، الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، غزة، مكتبة المركز الدولي للطباعة والنشر، ط4، 2013، 21.

(8) انظر: غريب؛ محمد، موجز تاريخ العالم بالسنوات والأحداث، القاهرة، مكتبة القرآن، دت، 112.

(8) انظر: ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، 14.

يوجه قواته إلى العمق الأوروبي حتى قارب على مشارف فيينا عام 1529م. لكن بعد حكم دام (46) عاما توفي السلطان سليمان القانوني عام 1566 وفيه انتهى عهد السلاطين الأكفاء الأقوياء العشرة الذين حكموا من عثمان إلى سليمان، وكان معظمهم على درجة عالية من المقدرة والكفاءة وقدرات نادرة وذوي خبرة إدارية وعسكرية، فانشغرت فترة التوسع في الدولة، وتولى السلطة سلاطين ضعفاء، وبدأت صفحة أخرى من تاريخ الدولة حيث دب الضعف بين ثناياها... فخلال المدة من حكم السلطان سليمان القانوني إلى حكم السلطان مصطفى الرابع ما بين (عام 1520 إلى عام 1808) حكم ثمانية عشر سلطانا لم يكن أحد منهم يمارس الحكم بنفسه بل بواسطة وزراء...⁽⁹⁾.

وقد مال بعض الدارسين إلى منح أواخر العصر العثماني اسم العصر الحديث متكئين سياسيا على قدرة محمد علي على الاستقلال ومحاولة صنع إمبراطورية ذات مقدرات متميزة عن الدولة العثمانية، لكن المعطيات التالية تمنعنا من قبول تلك الفكرة، لأن محمد علي من رجال الدولة العثمانية وظل كذلك حتى اللحظات الأخيرة، وهي من قام بكفه عن طموحاته الكبيرة.

وُلد محمد علي باشا في كانون الثاني عام (1769) في مدينة قولة، على الساحل المقدوني في بلاد اليونان، وقد كان والده ألبانيا في الأصل. وعندما غزا نابليون مصر، بعث السلطان سليم الثالث في صيف عام (1799) حملة ألبانية مكونة من سفن حربية عدّة ومؤلفة من 300 مقاتل، لمحاربة نابليون، وكان محمد عليّ مساعد الأمر في الحملة على متن تلك السفن، ولما وصلت الحملة إلى مصر تولى محمد علي قيادتها بعد وفاة قائدها أحمد ظاهر باشا، ولقيت الحملة هزيمتها عند أبي قير على يد الفرنسيين وكاد محمد علي أن يموت لولا أن أنقذه بحارة الأسطول البريطاني، ليعود إلى مصر بعد عامين قائدا لكتيبة ألبانية في آب (1801) لإجلاء الفرنسيين، فانتهز هذه الفرصة ووظفها لفائدته واتبع بذلك جميع الوسائل التي أظهرت مواهبه السياسية ومقدرته العسكرية، فأقام علاقة طيبة بقيادة الشعب والمقاومة ومن المشايخ والتجار⁽¹⁰⁾. ولما حاول فرض سيطرته على ولايات عثمانية أخرى مثل الشام تدخلت تركيا لمنع من خلال روسيا وبريطانيا وفرنسا، ووقع على وثيقة بوجود ولايته في مصر والسودان تحت إمرة الخلافة العثمانية لتتبدد بذلك طموحاته إلى الأبد⁽¹¹⁾. وذلك يعني أن الدولة العثمانية ظلت حتى أواخر عهدها تهيمن على الوطن العربي بكامله وصولا إلى تنفيذ سايكس بيكو وإلغاء الخلافة. وذلك يمنح هذا العصر اسم العصر العثماني بجدارة وفق التقسيم السياسي الذي نميل إلى اعتماده في دراسة تاريخنا الأدبي.

عصر الدول والإمارات "الثاني":

رأى بعض العلماء والنقاد أن العصر الحديث يبدأ بالحملة الفرنسية على مصر سنة (1798م)، بما فتحت من آفاق التفاعل مع الغرب ونهضته الحضارية، من هؤلاء: جرجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، وعمر الدسوقي في كتابه "في الأدب الحديث"، ومحمود مصطفى في كتابه "في الأدب العربي وتاريخه"، وطه حسين وزملاؤه في كتابهم "المجمل"، وفي كتابهم الآخر "المفصل"، ومن ذهب إلى ذلك العقاد أيضاً في مقالة له⁽¹²⁾، واعترض جمع من الأدباء والنقاد

⁽⁹⁾ انظر: ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، 13- 15.

⁽¹⁰⁾ ياسين؛ نمير طه، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2010، ص73.

⁽¹¹⁾ انظر: ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، 89.

⁽¹²⁾ انظر: خفاجي؛ محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992، 22.

دقيق ذلك أن الممالك لم يحكموا رقعة جغرافية وفترة زمنية محدودة من العصر وحسب؛ بل إن الدولة الأعظم والأقوى من الدول الإسلامية في ذلك العصر هي الدولة العثمانية التي فتحت نصف أوروبا، وتميزت بنظام قوي. ومن الواضح أن تلك المقولات جاءت غالباً دون انتباه للاسم العبقري الذي وضعه شوقي ضيف لتلك المرحلة. وفي ظني أن التسميات الجزئية تلك حرمت الدارسين من الانتباه لمفردات ذلك العصر بكل دوله وأدبائه من خلال رؤية شاملة لا تتحاز لجزء من العالم العربي دون آخر.

وذلك المعيار الحاسم الذي اعتمده شوقي ضيف يمنح الباحث القدرة على وضع نهاية أكثر تبيكراً لعصر الدول والإمارات الذي انفرد ضيف -وفق علمي- بتحديد؛ لتكون سنة (923هـ) هي النهاية الأكثر دقة له، والبداية الأكثر دقة لعصر جديد اتسم بسمات التمزق السياسي والهيمنة الاستعمارية، وإن رافقته محاولات صحو فكرية وبقظة أدبية واصطناع نهوض حضاري. ويمكننا أن نبني على جهد شوقي ضيف في منح هذا العصر الممتد حتى يومنا وإلى ما شاء الله بانظر وحدة عربية وإسلامية مرتقبة ومتألمة للخروج من ذلك التيه الذي أنهى قرنه الأول، يمكننا أن نمناه اسم "عصر الدول والإمارات الثاني" لتماهيه بشكل كبير مع سمات عصر الدول والإمارات "الأول". والقناعة بذلك الاسم نابعة من التوافق بين الاسم ومعطيات العصر من جهة، وبين الرغبة في الابتعاد عن ابتكار أسماء أخرى تنأى بنا عن تواصل جهود الباحثين السابقين واللاحقين، فالدول تشمل الجمهوريات والممالك الكبيرة، والإمارات تشمل الدول الصغيرة. كما أن اسم عصر الدول والإمارات الثاني يحسم التجاذب بين النقاد والعلماء في تحديد العصر الحديث واختلاطه بالعصر العثماني، وفي تحديد المعاصر وتداخله مع الحديث، وفي قابلية الاسم للوقوع في عدم منطقية الحداثة والمعاصرة تدريجياً بمرور الزمن.

ويمكن فيما يلي أن نضع النقاط على الحروف في فض الاشتباك بين تلك العصور المتلاحقة والمتعاقبة، من خلال استقراء طبيعة الواقع السياسي والمكونات الحضارية المتضمنة في العصر الأخير، والذي وعد شوقي ضيف بالكتابة عنه بشكل تفصيلي وفق الأقاليم المتعددة التي استقرأ فيها عصر الدول والإمارات "الأول" بأجزائه المتعددة التي نشرها لمحبيه، حيث قال سابقاً: "حتى إذا انتهينا من ذلك (يقصد ضيف هنا أجزاء عصر الدول والإمارات) أرّخنا للعصر الخامس، وهو العصر الحديث وقسمناه بدوره أجزاء على البلاد العربية"⁽¹⁵⁾.

ويمكننا بالمناسبة أن نبين أن شوقي ضيف في تقسيمه للعصر الواحد إلى أجزاء وأقاليم لم يكن بدعاً في ذلك، حيث سبقه العماد الأصبھاني في اعتماد الأقاليم لدراسة الأدب بشكل تفصيلي لا يظلم الأدباء في ظل اتساع الرقعة المكانية التي وصلت إليها حدود الخلافة، واتساع الرقعة الزمانية في امتداد العصر، وذلك في كتابه "خريدة القصر وجريدة العصر"، حيث تناول في الجزء الأول بداية قسم شعراء الشام: شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيوب⁽¹⁶⁾، وقال المحقق في شأن الكتاب بأجزائه المتعددة: "يذكر الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسائة. وليست قيمة الخريدة في هذه الفترة الفسيحة من الزمان فحسب، وإنما قيمتها كذلك في هذه الرقعة الفسيحة من المكان، فهي لا تقتصر على قطر من أقطار الإسلام بعينه، ولا على شعراء دولة من الدول بذاتها؛ وإنما تجمع شعراء العالم الإسلامي كله، شعراء

⁽¹⁵⁾ ضيف؛ شوقي، العصر الجاهلي، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط22، دبت، 15.

⁽¹⁶⁾ انظر: الأصبھاني؛ العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، ج1، تحقيق: د. شكري فيصل، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1968م، 1.

والشام في 15 - 17 أيار (1916)، واغتتم اليهود الفرصة وحصلوا في 2 تشرين الثاني (1917) على وعد بلفور، وانتهت الحرب العالمية الأولى في 11 تشرين الثاني (1918) بطلب ألمانيا الهدنة⁽²²⁾.

وتسببت الحرب العالمية الأولى في تفشي البطالة في الدول التي انهزمت: ألمانيا وإيطاليا، مما أدى إلى غليان تدريجي فيهما، وفي عام (1922) استولى الفاشيون بقيادة موسوليني على الحكم في روما، وانقض النازيون على الحكم في ألمانيا عام (1933) بقيادة هتلر، وطمح النظامان في تغيير الخريطة السياسية من خلال التوسع خارج حدودهما على حساب النفوذ الاستعماريين البريطاني والفرنسي⁽²³⁾، ومن هناك نشأت الحرب التي انتهت بهزيمتهما.

واختلفت أساليب الاستعمار بين دولة وأخرى، حيث أعطت بريطانيا مستعمراتها شيئا من الاستقلال الذاتي تحت سيطرتها، وظلت ممسكة بزمام مراكز السيادة كالجيش والاقتصاد والسياسة الخارجية. بينما حافظت الدول الاستعمارية الأخرى على كل شيء تحت سيطرتها وابتلعت مستعمراتها ابتلاءً. وبعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا وضعت مستعمراتها تحت سيطرة هيئة الأمم المتحدة التي تم تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية، بمعنى أنها ظلت تحت سيطرة الدول الاستعمارية الكبرى: الولايات الأمريكية المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا. ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الدول العربية تحصل على الاستقلال الذاتي أو الاستقلال العسكري فقط، إذ تنسحب الجيوش المحتلة منها بينما تبقى فكريا وسياسيا تابعة للدول التي استعمرتها، مع وجود صراع دائم عليها بين فرنسا وبريطانيا، لكن الولايات المتحدة الأمريكية حلت محلها من خلال الانقلابات العسكرية أو السيطرة الاقتصادية، مع بروز طرف قوي آخر تمثل في روسيا واتحادها السوفيتي. وحافظت بريطانيا على سياسة إعطاء الحريات النسبية لمستعمراتها واضطرت فرنسا إلى ذلك بعد مراحل غليان انتابت الكثير من مستعمراتها، وبذلك تحررت ظاهرياً في العام (1960) معظم البلاد العربية، ولم يبق تحت الاحتلال سوى فلسطين⁽²⁴⁾.

وقد كان الموقف الدولي منذ الحروب النابليونية وحتى الحرب العالمية الثانية بيد بريطانيا، تمارس فيه دور الحكم، وكان النظام الدولي نظامها، تمارس فيه دور الدولة العالمية⁽²⁵⁾، ثم تمخضت الحرب العالمية الثانية عن بروز دولتين عظميين، هما أمريكا والاتحاد السوفيتي، فقد خرجت أمريكا من عزلتها بعد اكتمال نموها ونضجها، وبانحلال الاتحاد السوفيتي كان من الطبيعي أن يكون النظام الدولي نظاماً أمريكياً، وأن تصبح الشرعة الأمريكية الشرعة الدولية؛ إذ إنها خرجت من الحرب الدولة الأقوى في العالم، فكانت تحتكر الأسلحة الذرية، وكان مخزونها من الذهب يعادل 70% من مخزون العالم⁽²⁶⁾.

(22) انظر: شاكر؛ محمود، التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر بلاد العراق، ج11، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1992، 25 - 32.

(23) انظر: شعيب؛ علي عبد المنعم، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، دار الفارابي، ط1، 2005، 195.

(24) انظر: ياغي؛ إسماعيل أحمد، ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر 987 - 1400 هـ / 1492 - 1980 م، ج1 الجناح الآسيوي، المملكة العربية السعودية، دار المريخ، ط1، 1995، 14 - 16.

(25) انظر: موسى؛ محمد، أضواء علي العلاقات الدولية والنظام الدولي، ج1، بيروت، دار البيارق، ط1، 1993، 64.

(26) انظر: موسى، أضواء علي العلاقات الدولية والنظام الدولي، ج1، 113 وما بعدها.

وقد اشتهر تطلع أمريكا إلى السيطرة وخلافة بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية لأهمية الثروة النفطية فيها، وبعد انسحاب بريطانيا من الخليج عام (1970) هدف التنسيق البريطاني الأمريكي إلى حلول الأمريكيان محل الإنجليز في مقابل مصالح مشتركة للطرفين⁽²⁷⁾، وهي عملية وصفها "ونستون تشرشل" رئيس وزراء بريطانيا في خطاب شهير له موجه إلى الرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" بقوله: "إنني مضطر أن أصارحك القول بأن سياسة الولايات المتحدة في مسائل بترول الشرق الأوسط؛ تبدو لكثيرين من زملائي في مجلس الوزراء محاولة لإرث تركة رجل ما زال على قيد الحياة"⁽²⁸⁾.

وقد ازداد اهتمام أمريكا بمنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي في قلبها مع بداية عقد السبعينات، وذلك لأن المنابع التقليدية للبترول في العالم تجف أو تخف، بينما منابعها هي تزيد وتفيض، وتقول الإحصائيات: إن بقية المنابع التقليدية للبترول في جنوب الولايات المتحدة، وفي القوقاز، وفي جنوب شرق آسيا تتراوح مدة عطائها الباقي ما بين 25 أو 30 سنة، بينما بترول منطقة الخليج أمامه -على نفس معدلات الإنتاج الحالية- ما بين 50 إلى 70 سنة، ثم إن كل الاكتشافات الجديدة المؤثرة في مجال البترول تكاد تنحصر فيها إلى درجة أنها تحتوي في باطنها الآن على ما بين 60% إلى 65% من الاحتياطيات المحققة للبترول في العالم⁽²⁹⁾.

ولهذا حرصت أمريكا على كنوز البترول في الشرق الأوسط، ووضعت خطة عسكرية دائمة لحماية الخليج، استبعدت فيها أطماع الاتحاد السوفيتي؛ لأن دخوله يعني حدوث حرب عالمية هو في غنى عنها، وقد منحت شاه إيران دور رجل البوليس في المنطقة لحمايتها من الأطماع الإقليمية، وقد ظلت أمريكا قلقة بعد سقوط الشاه حتى نشوب الحرب العراقية الإيرانية سنة (1980)، فقد ذكر الأميرال "ستانسفيلد تيرنر" مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في مذكراته: "إن واشنطن استقبلت أنباء نشوب المعارك على الجبهة العراقية الإيرانية بسعادة، ترجع في جزء منها إلى أن الثورة الإسلامية التي تملك أسلحة الشاه، سوف تصبح مرغمة على استهلاكها في حرب ضروس أمام العراق، وراحت واشنطن تتابع سير المعارك، وتحصي خسائرها باهتمام وتشوق إلى مزيد"⁽³⁰⁾.

وقد ظهر حرص أمريكا واضحاً على إبقاء الوضع العربي الممزق مستمراً، وعلى عدم احتواء بعض الدول المؤثرة على موارد البترول، فقد حذرت أمريكا السادات من قصف القواعد الليبية، خوفاً من وقوع موارد البترول الليبية في يد مصر، وهي لا تزال بحجمها الواقعي وتأثيرها المحتمل، وقد ظلت ثلاثة هواجس تلح على إستراتيجية أمريكا في منطقة الشرق الأوسط خلال العقدين الماضيين: "النفط، وإسرائيل، والحفاظ على الأنظمة المتعاونة معها"⁽³¹⁾.

وفي مقابل هذه الصورة العصرية البشعة للقوى الاستعمارية، التي تنشب مخالبتها في جسد الأمة كفريسة لا يمكن التنازل عنها، تظهر في الخلفية ملامح الأمة العربية الممزقة إلى دويلات

(27) انظر: التميمي، د.عبد المالك، الغزو العراقي للكويت، البحث الثاني، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 195، 1995، 49.

(28) هيكمل؛ محمد حسنين، حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1992، 198.

(29) انظر: هيكمل، حرب الخليج، 204.

(30) انظر: هيكمل، حرب الخليج، (207 - 208).

(31) التميمي، الغزو العراقي، (49 - 50).

متناحرة، تنقسم على نفسها من أجل أطفه القضايا وأخطرها، بينما ينغرس في قلب هذا الوطن الكبير خنجر مسموم، ما زال يتعمق في جراحها اسمه إسرائيل، التي شررت الشعب الفلسطيني، وراحت تأكل من كل دولة مجاورة قطعة قطعة، وراح نفوذها يمتد إلى أعماق هذا الوطن، تفرض نفسها واقعاً ينبغي علي العرب أن يعايشوه؛ لأنه جزء من نظام عالمي، تفردت به أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

والجريمة أن هذا الواقع العربي على الرغم من امتلاكه العديد من المقدرات التي تجعله على قمة العالم ما زال يبرزح في عالم التخلف والجهل والتمزق، حيث ترك وراءه عوامل النصر والنهوض، وراح ينسخ المعالم الحضارية والمدنية الجديدة ويستهلك ما تصدره، دون أن يشارك في صنعه، أو يحاول حتى العمل على جسر الهوة العريضة بينه وبين التقدم العلمي المذهل الذي يتصاعد بشكل جنوني، وإن كان عهد الاستعمار المباشر قد انتهى، ونعمت الشعوب بالاستقلال والحرية في الغالب، فإن الدول المتخلفة -والعالم العربي جزء منها- ما زالت تعتمد على الدول المتقدمة في جميع مناحي الحياة، حتى عندما تتحول الدول المتخلفة للصنيع، فإنها تعتمد في آلات صناعاتها وقطع غيارها على الدول المتقدمة، ولعل هذا الحال من التحكم نوع من الاستعمار، إن لم يكن أشد وأقسى من الاستعمار المباشر⁽³²⁾.

ويصور محمد حسنين هيكل واقع الأمة العربية من خلال عناصر وجودها من حيث الموارد البشرية والثروات الطبيعية والمواقع الجغرافية والإطار القومي الذي يجمع ويربط، إذ تفرقت هذه العناصر، وتتازعت وتباعدت وتحاربت، ومن ثم تحولت إلى أسباب ضعف وضياح، فالموارد البشرية وحدها عبء على أصحابها، والثروات الطبيعية وحدها مطمع لآخرين أقوياء، والموقع الجغرافي وحده مستباح للراغبين في السيطرة ويمتلكون وسائلها، والفكرة القومية فيلسوف تائه كالمجاذيب في عزلتها عن بقية العوامل⁽³³⁾.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الحديث عن أسباب التغيير الإيجابي على صعيد الأدب لا تمسه الرؤية التاريخية في اسم عصر الدول والإمارات الثاني، فيمكننا أن نشير لكل مقومات الصحة الحضارية في ظل الواقع السياسي المؤلم، من خلال الإشارة إلى مؤثرات متعددة منها نشوء روح المقاومة والرفض للواقع المغلوط، ومظاهر ذلك في ثورات مثل (1919م) وغيرها على صعيد العالم العربي، والتفاعل المؤلم أو الناعم مع الغرب سواء من خلال الحملة الفرنسية على قصرها أو من خلال البعثات العلمية في عهد محمد علي، أو الاحتلال المبكر لمساحات من الوطن العربي، إضافة إلى النقلة الحضارية المتمثلة في وجود المطابع وانتشار الصحف والمجلات، وتأسيس العديد من المدارس والجامعات، لقناعتنا التامة بأن التقسيم التاريخي ليس تقسيماً يعتمد على تغييرات جوهرية آنية، وإنما تقسيم تسبقه إرهابات، وتصاحبه تفاعلات، وتتبعه تداعيات، على صعيد النشاط الإنساني بشكل عام، بما في ذلك صنوف الأدب وأجناسه.

وليس الربط بين التغيير الإيجابي على الصعيد الحضاري والاحتلال بأنواعه مسألة فيها نوع من القابلية للاستعمار أو إعلاء شأن الاستعمار، فالتغيير قد ينبع من الذات، بدافع من قيم ومعان سامية كما حدث في عصور التاريخ الإسلامي الأولى، وقد يأتي من خلال مظاهر الصحة نتيجة صدمة كبيرة مثل تلك الضربات المؤلمة التي أحدثتها بشكل مبكر مدافع نابليون، والصدمة الأولى بحجم التطور الحاصل لدى الغرب، سواء من خلال مشاهدته بالاحتكاك الناعم أو معايشته بالاحتكاك

(32) الكرمي؛ زهير، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، الكويت، عالم المعرفة، العدد 5، مايو 1978، 172.

(33) هيكل، الخليج العربي، 619.

ولادة أجناس أدبية جديدة، واختفاء أجناس غيرها. وتلك السمات تمنح هذا العصر بجدارة أحقية التميز عن عصور لم تعرف هذا الحجم الكبير من النتاج الأدبي والإبداعي في القصة بأنواعها والمسرح بمدارسه، والمقالة بخصبها، والسيرة بأشكالها...، بل إن التغير النوعي على صعيد الشعر فن العربية الأول الذي رافق هذا العصر مثل الاتجاهات الفنية: الرومانسية والواقعية والرمزية والسيريالية وغيرها؛ كل ذلك التغير يمنح العصر أحقية التميز بكونه عصراً فنياً له استقلاله وسماته الفنية والموضوعية.

وقد حاول عنوان البحث أن يتسق مع محتواه؛ لأن ما عُرف بمصطلح الأدب الحديث والمعاصر، له علاقة وطيدة من حيث التأصيل للمصطلح الجديد "عصر الدول والإمارات الثاني" مع بقية العصور، وكانت ملامح الرؤية التاريخية والسياسية الواردة فيه ضرورية من خلال حشد ما يؤكد الفكرة الجديدة، ويفند ما يخالفها.

ومن الجدير بالذكر أن عصر الدول والإمارات الأول حظي بأسماء متعددة، منها: العصر المملوكي، وقد ناقش البحث ذلك، وعصر الدول المتتابعة، وعصر الدول المتزامنة. ويُقصد بالدول المتتابعة: العهد الزنكي ("521-579هـ"، "1126-1183م")، والعهد الأيوبي ("579-648هـ"، "1183-1250م")، والعهد المملوكي ("648-922هـ"، "1250-1517م")، بل إنهم يضيفون إليها ("العهد العثماني 922-1213هـ"، "1517-1798م") على أساس أن الأدب العربي تركز وفق رؤيتهم في بلاد الشام ومصر، في المقام الأول، وبعض أرجاء الجزيرة العربية كالحجاز واليمن⁽³⁵⁾. وذلك فيه ظلم كبير للأدب العربي في مساحات جغرافية واسعة، مما لا يجعل المصطلح مناسباً، لأنه يتناول بالكاد مصر والشام!

أما مصطلح "عصر الدول المتزامنة" فيُقصد به حسب رؤية أصحابه دول العصر الوسيط، المتزامنة في مدة وجودها، فالدولة الزنكية (480 – 577 هـ) كانت في زمن الدولة الفاطمية (358 – 567 هـ)، وفي تلك الفترة كانت الدولة العباسية قائمة (132 - 656 هـ)، لكنها لم تستطع في جميع مراحلها أن تُحكم السيطرة حتى على العراق وحده؛ فنفوذ الدولة البويهية والدولة السلجوقية كان أقوى منها، وكانت هناك دول أخرى متاخمة لها تتمتع باستقلال تام كالدولة السامانية والدولة الزيارية والدولة الغزنوية، وهذا يؤكد أن التزامن حاصل على امتداد تاريخ تلك الفترة الطويلة بالنظر إلى أنه لم توجد دولة واحدة تسيطر على بقاع العالم الإسلامي قاطبة⁽³⁶⁾.

ويواجه المصطلح إشكالية علمية، تتمثل في كون عصر الدول والإمارات لا توجد فيه على امتداد فترته تلك الدول المتزامنة، فبعضها انتهى وحلّ محله في العصر ذاته تشكيلات أخرى بشكل متتابع، لذلك لا يُعدّ المصطلح الأمثل، بينما يشمل مصطلح "عصر الدول والإمارات الأول" الدول المتزامنة والمتتابعة. لذلك أثر البحث اختياره، وبنى عليه اسم العصر الذي نعيشه اليوم.

النتائج

(35) الشيخ أمين؛ بكري، ومحمود سالم، موقع الموسوعة العربية: (موقع إلكتروني).

(36) الجديد؛ خالد بن محمد، عصر الدول المتزامنة: المفهوم والمصطلحات البديلة، جريدة الرياض، العدد 15235، 11 مارس 2010، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية.

- يتفق المؤرخون والأدباء في التقسيم التاريخي لعصور الأدب على العصرين الأول والثاني: (الجاهلي) و(الإسلامي) بحدودهما الزمانية من مائة وخمسين عاما قبل البعثة وصولا إلى 132هـ.
- ينقسم العصر الثالث (العصر العباسي) إلى عصرين: الأول من (132هـ) نهاية العصر الأموي حتى عام (232هـ) نهاية خلافة الواثق، والثاني من (232هـ) وينتهي في (334هـ) بسقوط بغداد في أيدي البويهيين.
- يبدأ العصر الرابع (عصر الدول والإمارات "الأول") من (334هـ) وينتهي ببداية العهد العثماني سنة (923هـ).
- يبدأ العصر الخامس (العصر العثماني) من 923هـ (1517م)، حتى نهاية الخلافة العثمانية في (1917م).
- يبدأ العصر السادس (عصر الدول والإمارات الثاني) من (1917م) حتى يومنا إلى ما شاء الله عندما يأذن بعودة الأمة الإسلامية إلى ترابطها ووحدتها.
- يشمل مصطلح "عصر الدول والإمارات الأول" الدول المتزامنة والمتتابعة.
- تستحق الفترة الأخيرة من العصر العثماني من سنة (1850م) حتى سنة (1917م) أن تحظى بتسليط الضوء عليها بدراسة خاصة لما تمثله من إرغاصات تعبير إيجابي على صعيد الأدب وفنونه.
- اعتمد مؤرخو الأدب العربي على البعد السياسي وغلبة الحكم في كل مرحلة من أجل ترتيب عصور الأدب، ولم يعتمدوا على النهوض الفني أو التراجع النسبي معيارا أساسا لتلك التقسيمات.
- ترتيب عصور الأدب سياسيا منهج يسهل متابعة التغيرات الحضارية والثقافية والاجتماعية ولا يمنع من تسهيل عملية إحصاء مظاهر التغيير الفنية بين الجمود والتطور والثبات والتحول.
- يصوب المعيار السياسي مقترح شوقي ضيف في ما أطلق عليه "عصر الدول والإمارات"، لجعل ذلك العصر ممتدا من (334هـ) حتى (923هـ)، ويضيف إليه كلمة "الأول" لتمييزه عن عصر الدول والإمارات الثاني.
- يصوب المعيار السياسي تسمية العصر المملوكي بذلك الاسم، لأن المماليك حكموا رقعة صغيرة من العالم الإسلامي في ذلك الحين، مع وجود دول أخرى تزامن وجودها معها، وتندرج دراسة أدب دولة المماليك ضمن "عصر الدول والإمارات الأول".
- وفق المعيار السياسي يتم منح عصرنا الذي نعيش اسم "عصر الدول والإمارات الثاني" لتماهيه بشكل كبير مع سمات عصر الدول والإمارات "الأول". وذلك نابع من التوافق بين الاسم ومعطيات العصر من جهة، وبين الرغبة في الابتعاد عن ابتكار أسماء أخرى تتأى بنا عن تواصل جهود الباحثين السابقين واللاحقين، فالدول تشمل الجمهوريات والممالك الكبيرة، والإمارات تشمل الدول الصغيرة.
- يحسم اسم عصر الدول والإمارات الثاني التجاذب بين النقاد والعلماء في تحديد العصر الحديث واختلاطه بالعصر العثماني، وفي تحديد المعاصر وتداخله مع الحديث، ويحفظ من الوقوع في اللامنطق في فقدان اسم الحداثة والمعاصرة مبررات التسمية تدريجيا بمرور الزمن.

- لم يكن شوقي ضيف في تقسيمه البحثي للعصر الواحد إلى أجزاء وأقاليم بدءاً في ذلك، حيث سبقه العماد الأصبهاني في اعتماد الأقاليم لدراسة الأدب بشكل تفصيلي لا يظلم الأدباء في ظل اتساع الرقعة المكانية التي وصلت إليها حدود الخلافة، واتساع الرقعة الزمانية في امتداد العصر، وذلك في كتابه "خريدة القصر وجريدة العصر".
- ليس الربط بين التغيير الإيجابي على الصعيد الحضاري والاحتلال بأنواعه مسألة فيها نوع من القابلية للاستعمار أو إعلاء شأن الاستعمار، فالتغيير قد ينبع من الذات، وقد يأتي من خلال مظاهر الصحة نتيجة صدمة كبيرة مثل تلك الضربات المؤلمة التي أحدثتها بشكل مبكر مدافع نابليون.
- انتبه بعض الباحثين إلى تحديد عصر الدول والإمارات الثاني بمطلع الربع الثاني من القرن العشرين، لكن دون وضع المبرر التاريخي الدقيق والمحدد.
- على الرغم من احتكاك الثقافة العربية بالثقافة الأوروبية من بدايات القرن التاسع عشر إلا أن ذلك الاحتكاك ظل خارج إطار التأثير الأدبي، ولم يتحقق التأثير بشكل عملي إلا منذ الحرب العالمية الأولى.
- هناك تقارب واضح بين التغيير السياسي الحاصل بعد الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية من جهة، والتغيير الفني الذي بدأ يتجذر ويتخذ ملامح واضحة، تستفيد من مجمل المتغيرات السياسية والثقافية من جهة أخرى.

المصادر والمراجع

- أبو علي؛ نبيل، الأدب العربي بين عصرين المملوكي والعثماني، غزة، مكتبة المركز الدولي للطباعة والنشر، ط4، 2013.
- أحمد؛ محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1984.
- الأصبهاني؛ العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، الجزء الأول، تحقيق: د. شكري فيصل، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1955م.
- الأصبهاني؛ العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، ج1، تحقيق: د. شكري فيصل، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1968م.
- الأصبهاني؛ العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق: آذرتاش آذر نوش، تونس، الدار التونسية للنشر، 1986م.
- البستاني؛ بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية: حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014.
- التميمي؛ د. عبد المالك، الغزو العراقي للكويت، البحث الثاني، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 195، 1995م.
- الجديع؛ خالد بن محمد، عصر الدول المتزامنة: المفهوم والمصطلحات البديلة، جريدة الرياض، العدد 15235، 11 مارس 2010، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية.
- خفاجي؛ محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992.
- زيدان؛ جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، القاهرة، دار الهلال.
- شاكر؛ محمود، التاريخ الإسلامي: العهد المملوكي، ج7، بيروت، المكتب الإسلامي، ط5، 2000م.
- شاكر؛ محمود، التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر بلاد العراق، ج11، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1992.
- شعيب؛ علي عبد المنعم، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، دار الفارابي، ط1، 2005.
- الشيخ أمين؛ بكري، ومحمود سالم، موقع الموسوعة العربية: (موقع إلكتروني).
- الصلابي؛ علي محمد، عصر الدوائين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، دار البيارق.
- ضيف؛ شوقي، العصر الجاهلي، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط22، د.ت.
- ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية - العراق - إيران، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج5، القاهرة، دار المعارف، ط2، د.ت.
- ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: الشام، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج6، القاهرة، دار المعارف، ط2، د.ت.
- ضيف؛ شوقي، عصر الدول والإمارات: مصر، سلسلة تاريخ الأدب العربي، ج7، القاهرة، دار المعارف، ط2، د.ت.
- العسيري؛ أحمد معمر، موجز التاريخ الإسلامي، السعودية، ط1، 1996.
- غريب؛ محمد، موجز تاريخ العالم بالسنوات والأحداث، القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت.
- غنيم؛ كمال، المسرح الفلسطيني، القاهرة، دار الحرم للتراث، ط1، 2003.

- الكبيسي؛ عمران خضير حميد، لغة الشعر العراقي المعاصر، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1982.
- الكرمي؛ زهير، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، الكويت، عالم المعرفة، العدد 5، مايو 1978.
- مكي؛ الطاهر أحمد، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1980.
- موسى؛ محمد، أضواء علي العلاقات الدولية والنظام الدولي، ج1، بيروت، دار البيارق، ط1، 1993.
- هيكل؛ محمد حسنين، حرب الخليج: أو هام القوة والنصر، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1992.
- ياسين؛ نمير طه، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2010.
- ياغي؛ إسماعيل أحمد، ومحمود شاکر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر 987 – 1400 هـ / 1492 – 1980م، ج1 الجناح الآسيوي، المملكة العربية السعودية، دار المريخ، ط1، 1995م.